(٩١) سورة الليل

في رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها إحدى وعشرون نزلت بعد سورة الأعلى، تتحدث عن سعى الإنسان وكدحه فى الحياة. ثم نهايته إما إلى النعيم أو إلى الجحيم بدأت السورة الكريمة بالقسم بالليل إذا يغشى الدنيا بظلامه وبالنهار إذا أنار الكون بإشراقه وضيائه، وبالخالق العظيم الذى أوجد النوعين الذكر والأنثى، ثم أوضحت سبل السعادة فى الحياة وسبل الشقاء ونبهت إلى اغترار الناس بأموالهم التى جمعوها وهى لا تنفعهم يوم القيامة ثم حذرت أهل مكة من عذاب الله وانتقامه. ثم ختمت السورة بذكر نموذج للمؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى وجوه الخير والمقصود به هو "أبو بكر الصديق" رضى الله عنه حين اشترى بلالا وأعتقه فى سبيل الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝ ﴾

معانى المفردات:

يغشى: يغطى الأشياء بظلمته — تجلى: ظهر بضوئه

لشتى: لمختلف — صدق بالحسنى: بالملة الحسنى وهى الإسلام

فسنيسره: فسنوفقه ونهديه — لليسرى: للخصلة المؤدية إلى اليسر

للعسرى: للخصلة المؤدية إلى العسر	ما يغنى عنه: ما يدفع عنه العذاب
تردى: هلك أو سقط فى النار	نارا تلظى: تتلهب وتحترق
لا يصلاها: لا يدخلها ولا يقاسى حرها	سيجنبها: سيبعد عنها
يتزكى: يتطهر من الذنوب	تجزى: تكافأ

التفسير:

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ يقسم الله عز وجل بالليل إذا غطى الكون بظلمته، وستر بشبحه الوجود ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ أى وأقسم سبحانه بالنهار إذا تجلى وانكشف وأنار العالم وأضاء الكون قال المفسرون: أقسم الله سبحانه بالليل لأنه سكن لكافة الخلق حيث يأوى الإنسان والحيوان إلى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم أقسم سبحانه بالنهار لأنه فيه حركة الخلق وسعيهم لاكتساب أرزاقهم ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ أى واقسم سبحانه كذلك بذاته وهو القادر العظيم الذى خلق صنفى الذكر والأنثى للتنبيه على أنه الخالق المبدع الحليم ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ هذا هو جواب القسم أى إن عملكم مختلف فمنكم تقى وصالح ومنكم شقى وطالح، ثم فسر ذلك سبحانه بقوله ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾ أى فأما من أعطى ماله وأنفق ابتغاء وجه الله، واتقى ربه فكف عن محارم الله، قال ابن كثير: أعطى ما أمر بإخراجه واتقى الله فى أموره[1] ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أى وصدق بالجنة التى أعدها الله للأبرار ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ أى فسنهيئه لعمل الخير ونسهل عليه الخصلة المؤدية لليسر، وهى فعل الطاعات وترك المحرمات ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴾ أى وأما من بخل بإنفاق المال فى وجوه الخير واستغنى عن عبادة ذلك الحلال ﴿ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أى وكذب بالجنة ونعيمها ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ أى فسنهيئه للخصلة المؤدية للعسر وهى الحياة السيئة فى الدنيا والآخرة وهى طريق الشر قال المفسرون: سمى طريق الخير يُسْرَى لأن عاقبتها اليسر وهو دخول الجنة وسمى طريق الشر عُسْرى لأن عاقبتها العسر وهو دخول الجحيم ﴿ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾ على سبيل الإنكار أى وأى شىء نفعه

---

(١) مختصر بن كثير ٦٤٦٣.

ماله إذا هلك وهوى فى نار جهنم؟ فهل ينفعه المال. ويدفع عنه الوبال؟ ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ أى إن علينا أن نبين للناس طريق الهدى من طريق الضلالة ونوضح سبيل الرشد من سبيل الغى، ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴾ أى لنا ما فى الدنيا والآخرة، فمن طلبها من غير الله فقد أخطأ الطريق ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ أى فحذرتكم يا أهل مكة نارا تتوقد وتتوهج من شدة حرارتها ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ أى لا يدخلها للخلود فيها ولا يذوق سعيرها إلا الكافر الشقى ﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أى كذب الرسول وأعرض عن الإيمان ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾ أى وسيبعد عنها التقى النقى المبالغ فى اجتناب الشرك والمعاصى ثم فسر ذلك سبحانه بقوله ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴾ أى الذى ينفق ماله فى وجوه الخير ليزكى نفسه ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴾ أى وليس لأحد عنده نعمة حتى يكافئه عليها وإنما ينفق لوجه الله تعالى قال المفسرون: نزلت الآيات فى حق "أبى بكر الصديق" فقد رضى الله عنه حين اشترى بلالا وأعتقه فى سبيل الله فقال المشركون: إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده فنزلت ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴾ أى ليس له غاية إلا مرضاة الله عز وجل ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ أى ولسوف يعطيه الله فى الآخرة ما يرضيه وهو وعد كريم من رب رحيم.

الإعراب:

وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ	الواو حرف قسم وجر، الليل مقسم به مجرور. والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره أقسم، إذا ظرف لمجرد الظرفية المجردة عن الشرط وهو متعلق بفعل القسم وجملة يغشى فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة وفاعله ضمير مستتر والجملة فى محل جر بالإضافة للظرف.
وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ	الجملة معطوفة على ما سبق وينفس الإعراب.
وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ	الواو عاطفة، ما مصدرية أو موصولة والجملة عطف أيضا على ما تقدم.
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ	جواب القسم، إن حرف توكيد ونصب مبنى على الفتح سعيكم

	اسم إن منصوب والضمير فى محل جر لشتى اللام هى المزحلقة وشتى خبر إن مرفوع بالضمة المقدرة.
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ	الفاء استئنافيه، أما حرف شرط وتفصيل من اسم موصول مبتدأ فى محل رفع وجملة أعطى صلة الموصول لا محل لها من الإعراب واتقى عطف على أعطى.
وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ	الفاء رابطة لجواب الشرط والسين حرف يدل على الزمن المستقبل، نيسره فعل مضارع وفاعله مستتر والهاء ضمير فى محل نصب مفعول به لليسرى جار ومجرور متعلقان بنيسره.
فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ	عطف على ما سبق.
وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ	الواو عاطفة ما نفية يغنى مضارع مرفوع بالضمة المقدرة ويجوز أن تكون ما نافية فى معنى الإنكار فى محل نصب مفعول مطلق ليغنى والتقدير "أى إننا نغنى" والبعض يعربها مفعول مقدما ويقدر أى شىء يغنى عنه جار ومجرور متعلقان بيغنى وجملة تردى فى محل جر بإضافة الظرف إليها[1].
إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ	إن حرف توكيد ونصب علينا جار ومجرور فى محل رفع خبر إن مقدر، واللام للتأكيد والهدى اسم إن مؤخر منصوب بفتحة مقدرة.
وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ	الواو عاطفة والجملة بعدها معطوفة على ما سبق ومماثلة لها فى الإعراب.

(١) إعراب القرآن الكريم وبيان المجلد العاشر ص ٥٠٢ لمحيى الدين الدرويش.

فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ	الفاء عاطفة أنذرتكم فعل وفاعل ومفعول نارا مفعول به ثان منصوب، تلظى فعل مضارع والأصل تتلظى والفاعل مستتر تقديره هى والجملة فى محل نصب نعت.
لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى	لا نافية، يصلاها فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة، الهاء ضمير فى محل نصب مفعول به إلا أداة استثناء للحصر والأشقى فاعل مرفوع بالضمة المقدرة.
ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ	الذى اسم موصول فى محل رفع نعت للأشقى وجملة كذب صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وتولى عطف على كذب.
وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ	الواو عاطفة، السين حرف يدل على الاستقبال، يجنبها فعل مضارع والهاء ضمير فى محل نصب مفعول به مقدم، الأتقى فاعل مؤخر الذى اسم موصول فى محل رفع نعت للأتقى، يؤتى مضارع مرفوع بالضمة المقدرة والفاعل ضمير مستتر والجملة إما إنها بدل من يؤتى فتكون لا محل لها من الإعراب لأنها داخلة فى حيز الصلة وإما فى محل نصب حال من فاعل يؤتى أى متزكيا.
وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ	الواو حرف عطف، ما نافية، لأحد جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، عنده ظرف متعلق بمحذوف حال، من حرف جر زائد، نعمة اسم مجرور لفظا مرفوع محلا على أنه مبتدأ وتجزى جملة فعلية فى محل جر نعت لنعمة.
إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ	إلا أداة استثناء بمعنى ولكن ابتغاء مستثنى من غير الجنس لأنه منقطع لأن ابتغاء وجه ربه ليس من غير جنس النعمة أى ما لأحد عنده نعمة إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى، والأحسن إعراب ابتغاء مفعول لأجله منصوب لأن المعنى لا يؤتى ماله إلا لابتغاء وجه ربه.

وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ	الواو عاطفة، اللام جواب قسم مضمر أى والله لسوف يرضى، سوف حرف تسويف، يرضى فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من صور البيان والبديع نذكر منها:

- الطباق بين "الأشقى والأتقى" وبين "اليسرى والعسرى"
- المقابلة اللطيفة بين قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ وبين قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾.
- جناس الاشتقاق فى قوله تعالى ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ لأن اليسر من التيسير فيها جناس اشتقاق.
- حذف المفعول للتعميم ليذهب مذهب السامع كل مذهب فى قولة تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾.
- السجع الرصين غير المتكلف فى قوله تعالى ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ وقولة تعالى ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾.